ومن ذلك يعلم أن البحث فى اللغة لا يقتصر على مستوى دون آخر، بأن يوجه الاهتمام للفصحى فقط — كما فعل النحاة العرب — أو يوجه الاهتمام إلى اللهجات فقط، كما يدعو لذلك بعض المتحمسين فى عصرنا الحاضر عن جهل أو غرض ، فكلا المستويين جدير بالبحث والنظر باعتباره نشاطا اجتماعيا للناطقين باللغة من جهة ، ولما تفيده الدراسة فى كلا المستويين من الآخر من جهة أخرى ، وتبرز هذه الفائدة بصورة واضحة فى فهم التطور التاريخى لكل من المشتركة ولهجاتها ، بمعرفة مدى ما أفادته كل منهما من العناصر اللغوية فى الأخرى ، وما تمثلته من ذلك ، فقدر له الانتشار والبقاء، وما استعمل فى إطار محصور بين فرد أو أفراد ، فانزوى ، ثم توارى فى ظلال النسيان .

أجل ، من الواجب ألا نهمل زاوية من زوايا البحث فى الفصحى أو اللهجات ، ولكن مع ذلك ينبغى تجنب الخلط بين المستويين فى الدراسة فإن لكل منهما مجال استعماله الخاص ونظامه المتميز ، وانتقال عناصر من أحدهما للآخر لا يخرجه عن هذا المجال ، ولا يؤدى للخلط فيه كما سبق بيانه آنفا فى الصلة بينهما فى الاستعمال ، ويبدو أن الذين يعارضون دراسة اللهجات إشفاقا على الفصحى يلتبس عليهم الأمر فى التفريق بين الدراسة والاستعمال الفعلى للغة ، إذ يتصورون أن دراسة اللهجات والاهتمام بها يؤدى إلى إضعاف الفصحى وإهمالها ، وهذا خطأ فى التصور لا شك فيه ، والأمر على عكس هذا التصور تماما ، إذ تؤدى دراسة كل منهما إلى فوائد محققة بالنسبة للآخر ، أما الأمر الخطير حقا فهو الخلط بين المستويين فى الاستعمال ، بأن تستعمل الفصحى فى مجال خاص باللهجات أو العكس ، والدعوة لذلك دعوة عقيم لن يقدر لها النجاح ، لمجافاتها للواقع الاجتماعى للغة .